هجاء المدن في الشعر الأندلسي دراسة موضوعية

د. رعد ناصر الوائلي ، جامعة واسط ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية

توطئة :

لقد عبر الشعراء الأندلسيون عن حبهم اللافح لمدنهم بإشكال وصور متعددة تبعاً للظرف الذي مرت له ، فمنهم من تغنى بها ونوة بشأنها وأعلا مقدارها بشعر أطلق عليه مديح المدن ، ومنهم من فاضت عواطفه فصب دمعاً مدراراً وهو يشهد انهيار المدن الواحدة تلو الاخرى ، بعد أن التاثت الأمور وتفرط العقد ، وانتثر سلك المدن ، فأطلق عليه رثاء المدن(1) . وعبر آخرون عن الألم الذي يعتصرهم وهم يلعقون مرارة الغربة وذل التغرب ، بعد ان تركوا الديار ، موطن الأحبة ومرتع الصبا . فظهر شعر الغربة والحنين . ومِنَ الشعراء من تخطى العواطف ومناجاة القلوب ، فنظر بعين ثاقبة تدعو إلى الصلاح والتقويم لتكتمل الصورة – صورة بهاء المدن – في نظره بعد ان تشذب من البوائق والعوائق التي تشوه تاريخها او منظرها . أو تلطخ حياتها الاجتماعية بأخلاقيات منافية للروح الإسلامية أو الحضارية او الأعراف الاجتماعية . فظهر هذا اللون بقوة عند شعراء لم يدعهم الواجب الوطني أن يمروا على الأسباب التي تسيء إلى المدينة او تخدش جمالها بتؤدة دون إن يشيروا اليها ، ويعلقوا عليها بشعر يقترب – او يكاد – من الهجو متخذين صوراً عديدة لرسم الحالة السلبية مستفزين بذلك مشاعر الناس فظهر هجاء المدن في الأندلس .

ليس بدعاً ان نشير الى أن أصول هذا الضرب من الهجاء كانت مشرقية وأن القرن الاول للهجرة ، كان مولده ، على رأي من رأى ان الشاعر النجاشي الحارثي ، هجا اهل الكوفة – ساعتذاك – وفحش في قوله بعد أن لقى عقاباً بسبب شربه الخمر فقال:

اذا سقى الله قوماً صوب غادية فلا سقى الله اهل الكوفة المطرا

التاركين على طهر نساءهم والناكحين بشطي دجلة البقرا

والسارقين اذا ماجن ليلهم والطالبين اذا ما اصبحوا السورا

ومن الباحثين من يرى ان القرن الثاني للهجرة شهد الولادة الحقيقية لهذا الضرب من الشعر متخذين من هجاء ابي نواس ، لمدينة البصرة ، وهجاء ابن ابي الزوائد لمدينة بغداد برهاناً على رأيه.

وأياً كان تاريخ ظهوره على مسرح الشعر المشرقي ، فهو شعرٌ مشرقيُ الولادة والنمو ، واحتذى – تبعا لذلك – الاندلسيون حذوهم في هذا الضرب سواءٌ أكان الأمرُ يتعلق بحبهم الشديد لوطنهم من خلال

انتقادهم للظواهر السلبية في المدينة لتكتسب – بعد ذلك – المعالي بعد إزالة السبب ،أم كونه تقليدا لكل ما هو مشرقي على ديدنهم الذي عهدناه في محافظتهم على أصالتهم من خلال التشبث بالجذور المشرقية حتى بعد انصهار القوم بالبيئة الجديدة وهضمها على نحو ينبئ للرائي من أنّ الآصرة الإسلامية والعربية ستنصهر وتزول حتماً جيلا بعد جيل ! إلا أننا واجدون عكس ذلك تماماً فكأني بهم وبعلمائهم وشعرائهم ينظرون بعين الى إبداعاتهم . والى المشرق بعين أخرى ، لا سيما في الجانب الفني (الإبداعي) والديني طبعاً . الذي لا يمكن ان يحيدوا عنه أو يتجاوزه – فهو سبب جهادهم وذريعة بقائهم وجوازهم لهذا الصقع وربما يفسر لنا هذا ما عانى منه الأدب الأندلسي – وما يزال – من عقدة التهميش التي لا زمته ، ولا زمت شعراءه لما كان ينظر اليه من كوة التبعية والتقليد والاحتذاء وسلب الموهبة والابتداع ، لسببين رئيسين ، اولهما : تلك المقولة التي ترى بتفضيل القائل لقدم عهده و اهتضام حق المصيب لحدثان عهده لاعتبارات زمنية فحسب ، وآخرهما : الذي يرى أن المشرق وحده قبلة الدين ، وقبلة الفن على حد سواء ، والسببان – كما نعتقد – لا يمكن الركون إليهما في معادلة التقليد والابتكار.

وربما كان السببان الآنفان دافعا لكاتب الأندلسيين ومبدعهم ابن عبد ربه أن يؤلف كتابه الذائع الصيت ، العقد الفريد كما لمح بذلك في مفتتحه ، فقال : ((ليعلم الناظر في كتابنا هذا إن لمغربنا على قاصيته ، وبلدنا على انقطاعه حظا من المنظوم والمنثور))(5) .

لنعطف عنان الكلام ونعود إلى هجاء المدن في الشعر الأندلسي ، فنقول : إننا إزاء حب ذا طابعٍ خاص ، يتسمُ بالمشاعر القلقلة والنفوس التي لم تهدا إلا بعد أن تصحح الأخطاء ، حتى وان اتخذت وسيلة تبدو في نظر القارئ للوهلة الأولى محاولة جادة من الشاعر للانتقاص من المدينة ، أو تعرية أهلها أو التعريض بهم بأسلوبٍ يقترب حيناً من القذع والقرع ويبتعد في أحايين كثيرة عن ذلك .

فنجدهُ ناقداً مُتبصراً يدعو مَنْ عميت أبصارهم أو جحدت نفوسهم أن يعدلوا عن مسلكهم الخاطئ . ومن اجل ذلك كان منطق العقل والواقعية المحضة أن تسيطر على أجواء اغلب المقطوعات التي وصلت إلينا في هذه الظاهرة . ولا نحسبّنَ الذين أشربّت نفوسهم من الشعراء بحبَّ مُدنهم أو المدن الأخرى ينظرون بمنظارٍ غير الذي قررناه ؛ إلا ما ندر .

عاش الشاعر الأندلسي ، أكثر من سواه من الشعراء العرب في نقلة دائمة وترحالٍ طوعي و قسري . وما أكثر هذا النوع الأخير وما أقساه عليه ، لما اكتنف حياته من قلق دائم وقهر قاهرٍ وهو يواجه عدو عنيد يحاول استئصال جذوره وإعادته إلى ما وراء البحر .

فوفقاً لهذه النظرة المستمدة من واقع الشعر الذي وقفت عليه وأنا أتبحرّ في المظان الأندلسية التي نيّفت على الستين ما بين دواوين أو مجاميع شعرية أو كتب التراجم أو الموسوعية منها . ارتأيتُ

النظر إلى شعر هذه الظاهرة الهاجي للمدن الأندلسية أو سواها في عدوة المغرب أو تلك التي تقع خارج العدوتين ، كهجاء بعض الشعراء لمدينة القاهرة مثلا في معرض مقارنتهم بين مدنهم والمدن التي هاجروا إليها طوعاً أم قسرآ، كما أعانتني هذه الوقفة في معرفة بواعث فن هجاء المدن فقسمت البحث تبعا لذلك إلى مباحث ستة ،اجتهدنا في عناوينها على الرغم من التداخل الكبير بين وشائجها ، مثل هجاء المدينة بسبب سوء سلوك أهلها . أو بسبب تردي النظافة وكثرة البعوض والبراغيث ، مما تزداد الأمراض وتكثر . في حين كان تقاعس المدن وأهلها عن أداء فروض الجهاد والذود عنها مدعاة لهجائها . ومن الشعراء من هجا المدن بسبب ما لاقاه من نظرة دونية من أهلها له فشعر بالذل والصغار . أما بعض الشعراء رأى أن بعض المدن كانت ملاذا للفتن والإحن والبغضاء ، فهجاها . وحين تكون المدينة معروفة بقحطها وجدبها ، تكثر عليها سهام الشعراء لتوجه النقد لها . فكان هذا هو الباعث السادس من البواعث .

كما أود في مفتتح البحث وتوطئته الإشارة إلى أني قد وقفت على شعر غزير في نتاجه يستأهل وقفة أكثر إمعانا وأوسع مساحة . بيد أن متطلبات المؤتمر العلمي التي حددت اطر البحث وصفحاته اضطرتني إلى هذا الإيجاز . ولعل قادم الأيام ستشهد مؤلفا ضمن كتاب عكفنا على وضعه وتأليفه بهذا الصدد .إن شاء الله .

أرى ومن باب الأمانة العلمية الإشارة إلى أن عنوان البحث قد تعاورته أيدي بعض الباحثين في الشعر الأندلسي ضمن دراساتهم وبحوثهم كدراسة د. فوزي سعد عيسى (الهجاء في الأدب الأندلسي) حيث وقف المؤلف على نتف قليلة في هذا اللون الشعري وبصفحات لا تتعدى الثلاثة . في حين لم أجد دراسة مستقلة أو بحثا أو كتابا أو موقعا أو منتدى في الأدب الأندلسي على الشبكة العنكبوتية يتحدث عن هذه الظاهرة على النحو الذي درسناه (6).

و لعل من نافلة القول أن نثير انتباه القارئ بان لا يتسرب إلى ذهنه أن لفظة الهجاء الذي اتخذناها مصطلحا للتعبير عن ذم المدن الأندلسية أو سواها نابع من كره مستديم وحالة دائمة تسيئ إلى تاريخ المدينةٍ أو حضارتها فلكل مدينة قصتها ودورها في الركب الحضاري ، وان نظرة الشعراء الهاجين نظرة وقتية عابرة ، ربما تزول بزوال السبب الذي من اجلهُ هجيت تلك المدن .

وأخيرا نقول : نحمد الله على نعمائه وعطائه مبتغين رضاه أولاً . وإضافة لبنة جديدة في بناء المكتبة الأندلسية . فان كان في البحث ومضات ايجابية لامعة فهي من الله العزيز المقتدر . وان تسرب الوهن والقصور إلى صفحاته فهو مني وحسبي أني بادرت . والله الموفق .

بواعث هجاء المدن :

أولا : سوء سلوك السكان سبباً لهجاء المدن .

تحظى اغلب المدن ببعد آخر لايقل في الأهمية من بعديها الجغرافي والحضاري ، فيشكَّلُ أهلها علامة فارقة لاتقل شأنها عن العمران والتطور ... وسواهما . واعني بذلك البُعد الإنساني للمدينة . فما أن تطأ قدماك مدينة حتى رحت . وبلا شعورٍ . تُفتش في وجوه سكانها وتتفرس في تقاسيم هذه الوجوه وأخاديدها ، علّها تنبئ عما تخفيه من خير أو شر من بخل أو كرم ، من حسن معاشرة أو عدمها. إلى غير ذلك من النقيضين اللذين يرسمان السلوك البشري ، أولاً ، وصورة المدينة ثانياً . ومدى تفاعلك معها . وما سمي الإنسان بهذا الاسم إلا لأنسه بالمكان .

لايمكن . أذن . تناسي العامل النفسي الذي كان ادعى لقول الهجاء من لدن الشعراء ، لما لاقوه من سوء معاملة أو لوقوعهم في مصيدة الكذب والنفاق ، أو لما ألفوه من بخل أهلها . كما لا ننسى أبدا أن الناس– والشعراء جزء منهم –. إذا ما طلبوا عيبا وجدوه ، وان لم يكن فيصوغونه من نسج خيالهم ، لما يكتنز دواخلهم مواقف سلبية جاهزة يستطيعون إعادة تشكيلها وفقا لحالتهم النفسية في تلك اللحظة التي قال فيها الشاعر ، شعره الهاجي.

فمدينة (تنس)(7) تعرضت للهجاء بسبب لؤم سكانها ، كما يرى ذلك احد الشعراء ممن نزل المدينة ، وساءه ما وجد . فقال(8):

أيها السائلُ عن ارض تنس بلد اللؤم لعمري والدنس
بلدةٌ لاينزلُ القطرُ بها للندى في أهلها حرفٌ درس
فصحاءُ النطق في (لا) أبداً وهم في (نعم) بكمٌ خرس

لاحظت معي ، كيف كان لهذه الخصيصة الأخلاقية المشينة من وقفة استدعت الشاعر أن يقول فيها شعره الهاجي . وشاطره الشاعر سليمان بن احمد بن غالب(9) في المعنى نفسه والمدينة نفسها وآثرنا عدم إيراد مقطوعته لركاكتها وورود كلمات نابية فيها .

وبسبب اللؤم أيضا فقد هجيت مدينة (تادلى)(10) ... من قبل ابنها وشاعرها عبد السلام الجراوي(11) ... ، لاسيما قوم بني غفجوم الذين يشكلون اغلب سكانها ، واعيان بلدتها . فقال:12)

يابن السبيل إذا مررت بتادلى لاتنزلن على بني غفجوم
قومٌ طووا طنب السماحة بينهم لكنهم نشروا لواء اللوم
يا ليتني من غيرهم ولو أنني من أهل فأس من بني الملجوم

أما مدينة (شاطبة)(13) ... فقد تناولتها السن الشعراء من زاوية أخرى فرأت أن سكانها شر البلاد ، وان ساكنها سيصاب بالدهشة لعناية اهلها بالكسب غير المبرر . كما رأى ذلك الشاعر صفوان بن إدريس التجيبي(14) ، فقال (15)

شاطبةُ الشرقِ شرُ دارٍ ليس لساكنها فلاحُ
الكسبُ من شأنهم ولكن أكثر مكسوِبهم سلاحُ

وفي المدينة نفسها وفي المعنى نفسه نجد ان الشاعر ابن صاحب الصلاة(16) ... لم يستطع تحمل أبنائها ولؤمهم فقرر الرحيل عنها على ضوء ما قال :(17)

سأرحلُ عن دارٍ نبتْ بي ولم يقم بها احدٌ بي حين أقعدني الدهرُ
ورحلةُ أهل الفضل عن أهل بلدةٍ شهيدٌ بنقصٍ فيها ولها خسرُ
وشرُّ بلاد اللهِ ما لم يكن بهـا مُعينٌ على أن يستقرَّ بها الحرُّ

يبدو إن مزاج الشاعر كان حادا جعله يضيق بهذه المدينة فعزم على تركها قاصدا سواها .

ولم تسلم مدينة (قابس)(18) .. من هجو الشاعر أبي عبد الله الحنفي(19) لما وجد في أهلها قلة ذمامه وفي باديتها عتوّ وفساد وقطع طرق . ونزوعٌ نحو السلوك الشائن. فقال :(20)

قلوصي إلى الترحال طال نزوعها لها كل يومٍ أن تشدّ نسوعهـا
إلى أن أحلتنـي لحيني بقابسٍ فصادفني ضنك الحجاز وجوعها
أعاين فيها كل اسود كالــحٍ يلوحُ على الأسنان رجيعها

ومن الشعراء من نظر في هجائه إلى ابعد من ذلك ففتش عن العيوب التي تمسّ الأخلاق في جانبها السلبي على نحو ما ذهب إليه الشاعر عبد الملك بن عيشون(21) ... حين فسق أهل (أشير)(22)في قوله :23)

يا أيها السائل عن غربنا هذا وعن محل اشير
عن دار فسق ظالم أهلها قد شيدت للكفر والزورِ
أشمخها الملعون زيريها فلعنة اللهِ على زيريِ

ونالت مدينة(بسطة)(24).. الجميلة ذات الطبيعة الخلاّبة حظها من هجاء الشعراء بسبب سوء أخلاق أهلها وانحرافهم عن جادة الخلق الرفيع وتفريطهم بحق احد أهم أعلامها . وهو الشاعر محمد بن عبد الكريم البسطي القيسي(25) ... على نحو قوله .:(26)

أيها الصبّ بسكنى بسطـةٍ يبتغي العزّ بها والشرفـا
انصرف عنها لسكنى غيرها فكلا الأمرين عنها انصرفا
لا تؤمل نيل شيء منهمـا ما عليها الملوان اختلفـا
بلدةٌ فيها الهوا مُنـحرفٌ كمزاج الناس فيها انحرفا
حسد صاحبه البغي بهـا ذا على هذا بها قد وُقفـا
أكثر الناس بها من تلـفهِ بكلا الوصفين فيها عُرفا

وهجا الشاعر أبو الحسن جعفر بن الحاج(27)... بلاد المغرب لاسيما آل عباد منهم معرّيا صفة البخل فيهم . فلازمتهم في كل زمان . قال شعره هذا بعد أن حلّ ديارهم ضيفا :(28)

تعز عن الدنيا ومعروف أهلها إذا عدم المعروف في آل عباد
أقمت بهم ضيفا ثلاثة اشهر بغير قرى ثم انصرفت بلا زاد

وأعاب البسطي أيضا ما ألفه في مدينته من استشراء الرشوة وظهورها على نحو فاضح سالبا منهم صفة الإنسانية الحقة حينما وصف أحد قضاتهم بـ(اللب) وهو أسم الذئب عند الأندلسيين كقوله: (29)

أي لبّ ببسطة قـد تقضى لرعايــا بهائم في مفازه
منح الجائز المباح ريـاء والحرام المحظور شرعا أجازه
ومضى حكمه بذاك مضاء ليس منه في نفسه من حزازه
واستوت عنده الحقيقة جهلا مع ما أحكم الكتاب مجازه
يرتشي دائما ويبدي لمرش عنـد لقيآه هشّه واهتزازه

ويبدو أن قضاة بسطة قد اشتهروا . في زمن البسطي . بتعاطي الرشوة وتقبلّهم هذه الآفة الاجتماعية التي نهى عنها الإسلام . ففي غير موضع ، نجد الشاعر نفسه قد هجا مدينته بسبب ركون أهلها لقرارات وأحكام قاض لا يفقه في عمله . فصوب سهام شعره على المدينة وقاضيها ، فقال :(30)

تبا لقاضي بسطة ابن مفضل تبا له فيه يروح ويغتدي

فلقد أتى من حكمه بعجائب أمثالها في عصرنا لم تعهد

لذلك نجده يطالب أولي الأمر إنقاذها من هؤلاء الذين سلبوا المدينة هيبتها وجلالها . فقال ... :(31)

تعطف على الأحكام واستبق رسمها بإنقاذها ممن بها اليوم يلعب
فقد سلبت في بسطة أصل وصفها بتقديم من لولاه لم تك تسلب

وتجلى لنا وبوضوح أن الشعراء ، ومحاولة منهم تطهير مدنهم أو المدن التي يهجونها من كل دنس أو عيب ، راحوا يصطادون عيوبا تعدّ بنظر الآخرين . من عميت بصيرتهم . عيوبا بسيطة . ولكنها في حقيقتها تشوه صورة المدينة واهلها . كما نجد ذلك عند الشاعر علي بن إسماعيل الفهري(32) .. وهو يحاول أن يفضح أحد الشعراء لسرقته نصوصا شعرية من آخرين . فهجا مدينة (تريش(33)) .. بسبب ذلك . على نحو قوله ..:(34)

يا أهل تريش ألا حاكم يحكمُ بالسارقِ بالنصّ
قد جاءكم من جمة شاعر وشعرهُ يأتيه من حمصِ

ولاحظ معي كيف استقصى الشعراء عيوب المدن وفتشوا عنها ، للغاية نفسها غاية التطهير ، ودفع القبح عنها . كقول أحد الشعراء عن مدينة مراكش حينما صور لنا وبأسلوب لا يخلو من الفن انتشار شرب الخمر فيها ، فقال .. (35)

يطوف التّجارُ بمراكش طواف الحجيج ببيت الحرم
تروم النزول فلا تستطيع لشرب الخمور وهتك الحرُم

أما لسان الدين بن الخطيب فقد هاله أمر سكان مدينة (سلا)(36).. لما ألفاه من سوء أهلها . فلم يستطع وهو الخطيب المتمكن والوزير النافذ والمتنفذ والشاعر المفوّه ، أن يخطب ودّ أهلها . فهم حمقى لاعقل لهم . قد غلب الجهل عليهم . ويبدو أن الشاعر حاول أن يبث فيهم معاني الحضارة من خلال عمله وزيرا هناك . ولكنه لم يفلح في التغيير والتطوير ، فوّجه هجاءه كقوله :37)

مَنْ طلبَ الودَّ من سلاّوي أنشأهُ الله من مساوي
هاويةٌ أُمّهُ وفيهـا أبوه من بعد ذاك هاوي
راويةُ الفضل في انقطاعٍ عنهم إذا ما فرضتَ راوي
حمقى فما شئت من دماغٍ قد عدم المُخَّ فهو خاوي

مرضى من الجهل لا حكيمٌ ولا طبيبٌ ولا مُداوي
ليس لهم في المشاق ندٌّ ولا نظيرٌ ولا مساوي
قبّحها الله من وجـوهٍ أدحضها اللهُ من دعاوي

والأمر نفسه نجده عند الشاعر عباس بن فرناس(38) .. الذي حمل على أهل طليطلة(39) ... لتقصيهم مواضع الكفر في بلدهم . فجرّدهم من صفة الحياة . وأسبغ عليهم صفة الموتى بعد أن طغوا في كفرهم وعصيانهم . فقال(40)

أضحت طليطلة معطلةٌ من أهلها في قبضة الصقرِ
تُركت بلا أهل تؤهلها مهجورة الأكنـاف كالقفرِ
ما كان يُبقي الله قنطرةً نُصبت لحمل كتائب الـكفرِ

ونالت مدينة مرسية سهاما موجّهة من الشاعر المخزومي الأعمى ، بعد أن صادف صفات مستهجنة من أهلها .وسوء طباع وفساد أخلاق . فوصفهم بالكلاب نازعا عنهم صفة الإنسانية ، على نحو قوله (41):...

على أهل مُرسية لعنةٌ تعمّ الديار وأربـابها
فما غلقت قط مُذ فتحت على فاضل الطبع أبوابها
كلابٌ تهر إلى شاعرٍ وتكشفُ للشر أنيابها

وشبيه هذا المنحى الهاجي ، نجد أن الشاعر أبا عبد الله بن ياسين الشاطبي(42) ... يهجو مدينة شاطبة ويقّرع أهلها ويتهمهم بالبخل والتقصير في تدبير الشؤون وهي مليئة بالخبث ، مما تنبئ هذه الأبيات عن إحساس دفين ونفس متشائمة تعتري الشاعر ، فقال (43)

شاطبة قرية ضنينـة ليست لمن أمّها معينة
تهتضم الطيب اهتضاما وتأنف الدهر أن تعينـه
والخبث المحض تصطفيه ضدا لما جاء في المدينة

ثمة مقطوعات شعرية أخرى لشعراء ومدن أخرى ، لم نذكرها مؤثرين الاختصار وعدم الإطالة دفعا للملل المتأتي من تكرار الصور الشعرية نفسها تقريبا .

تأسيسا على ما تقدم ، غدا الأمر طبيعيا أن نصادف شعرا في هجاء المدن يتحرى سلوك أهلها في الجانب السلبي منه نتيجة ردة الفعل المتوقعة من الشعراء كونهم عين الأمة ولسان حالها فينقلون تلك التجربة الشعرية من الخصوص إلى العموم ملتزمين بالوظيفة الإصلاحية التي نذروا أنفسهم على أدائها . مانحين ايانا انطباعا لحالة التماهي التي يعيشها الشاعر مع المدينة وانصهاره في حبّها متخذا من التقريع والتعريض وسيلة لتنقية المدينة من الشوائب التي تعكّر صفو جمالها .

ثانيا : قذارة المدن سببا لهجائها :

انطلق الشعراء الأندلسيون في موقفهم من نظافة المدينة وما يتعلق بها من طباعهم الشخصية والاجتماعية التي تنفر من القذارة والأوساخ وما يتبعها من ظهور الحشرات والأمراض والأوبئة .فلقد عرف عن الأندلسيين حبهم الكبير للنظافة وتعلقهم بها ، حتى أضحى ذلك ديدنا لا يحيدون عنه . فهم أشد الناس اعتناءا بما يلبسون وما يفرشون . بل أنّ شراء الصابون لغسل الملابس مقدم عندهم على شراء الأكل في أحايين كثيرة . والأمر كما يذكر ذلك ابن سعيد ، ليس مقصورا على المدينة فحسب بل يتعداه إلى القرى أيضا (44). ... ومن هنا صوّبت سهام الشعراء الهاجية على من ينزاح عن هذا الطبع ويسيء إلى جمال المدينة ورونقها . بشعر تراوح بين النقد الجارح تارة وبين التعريض والسخرية تارة أخرى وكأني بهم وجدوا أن أي شائبة تسيء للمنظر العام للمدينة جديرة بان تنحى جانبا منطلقين في ذلك من حبهم الشديد لها.ومبرزين أيضا عنصر(الوطنية) الذي أراه حاضرا بين جنبات الشعراء وعقولهم أنى حين .

اختلفت شباك الشعراء في صيد الصور السلبية في هذا الجانب تبعا لنوع الشائنة ومقدارها . فمنهم من وجد أنّ البراغيث تزداد بازدياد الأوساخ فراح . وبطريقة لا تخلو من السخرية . أن يشير إلى الأوساخ بصورة غير مباشرة كقول الشاعر أبي الحسن ألحصري(45) :(46)

ضاقت بلنسية بـي وذاد عني غموضي
رقص البراغيث حولي على غناء البعوض

يبدو أن ما دفع الشاعر إلى هذا الهجاء بعد أن استهجن وضعها الخدمي العام . وما صادفه شخصيا من إزعاج فعكس ذلك شعرا لينّبه عليّة القوم على التطوير ... كما أظن. لأن بلنسية من المدن الأندلسية المشهورة بنظافتها واعتدال هوائها واعتناء أهلها بالنظافة العامة .

وبالطريقة نفسها هجا ابن الجزار السرقسطي(47) ... مدينة (سرقسطة)(48) ... بسبب تعرضه لهجوم مباغت من البراغيث أثناء اقامته ليلة واحدة في أحد حصونها (بيتول) فقال: (49)

لحا الله بيتول الدنية أنهـا بها يستزيد الحزن والفرح ينقص
لقد بت فيها ليلة أي ليلـة وبرغوثها حولي من الفرح يرقص
كأن فراشي تحت جنبي طاجن وزريعة الكتان فيه تحمـص

ووجد أحد الشعراء الأندلسيين . ممن لم نستطع الوقوف على اسمه . في قبح ماء مدينة (تنس) سببا لهجائها . وحسنا فعل لما عرف عن هذه المدينة من كونها وبيئة يكاد من يدخلها لا يسلم من المرض . وكثيرا ما مات فيها الغرباء لعدم التأقلم عليها وعلى أجوائها . على نحو قوله ...:(50)

فمتى يلمم بها جاهلهـا يرتحـل أرضها قبل الغلس
ماؤها من قبح ما خضّت به نجس يجري على أرض نجس
فمتى تلعن بلادا مـرة فـاجعل اللعنة دأبا لتنس

وتعجب الشاعر السميسر(51) ... المعروف بهجائه اللاذع من الذي يرى ان المرية(52) نظيفة ... . فقد وجدها غير ذلك يدفعه لذلك سببان : الأول مذهبه في هجاء كل مَنْ تقع عينه عليه. والآخر لدفع أهلها على النظافة والإدمان عليها لتبقى بهيّة كما قالوا عنها . فقال : (53)

قالوا المريّة فيها نظافة قلت : إيه
كأنها طست تبر ويبصق الدم فيه

ويعضّد قولنا هذا ما قاله الشاعر نفسه وفي موضع آخر عندما حلّ مقيما في بلنسية . فقد استقصى معالمها . ولكن بعين الناقد المتبصر . فوجد أن المظهر العام لها يبدو للعيان نظيفا . ولكن ما وراء ذلك قذارة لا تحتملها الأنوف والعيون . مما استدعى أن يصبّ غضبه بشعر هاجي كقوله (54)...:

بلنسية بلدة جنـة وفيها عيوب متى تخبر
فخارجها زهر كله وداخلهـا برك من قذر

ومن الشعراء من فتش عن سبب لهجاء مدينة مراكش فلم يجد سوى الطقس المتطرف صيفا وشتاء . فراح يعده عيبا وعارا ، ولا أعرف ما مدى العلاقة الرابطة بين جوها ، وسلوك أهلها . وأرى أن الشاعر . كما أسلفنا . إن لم يجد عيبا فانّه يخترعه وفقا لحالته النفسية ومدى حبّه لتلك المدينة ، ولربما كان المزاج الأوربي الذي ألف الجو الجميل دفع الشاعر أبو القاسم بن نوح الغافقي (55)... إلى مراكش الأفريقية القول ...:(56)

مراكش إن سألت عنها فإنها في البلاد عـار
هواؤها في الشتاء ثلج وحرّها في المصيف نـار
وكلّ ما ثمّ وهو خيـر من أهلها عقرب وفـار
فان أكن قد مكثت فيها فانّ مكثي بهـا اضطرار

ويبدو أن هذه المقطوعات الهجائية تكاد ... تمتح من معين شعري ،أو شعوري واحد . تسترفد منها مادتها لاسيما في إظهار النقيض أو المفارقة وشدتها بين حالتين في مدينتين بسبب التغيرات الجغرافية بين العدوتين(الأفريقية والأوروبية) . فبالإحساس الذي ألفناه عند الشاعر الغافقي البلنسي نفسه،نجده أيضا عند مواطنه الشاعر أبو المطرف بن عميرة حينما ولي القضاء بمدينة(شقنبارية)(57) .. حيث ذلك الشعور الدفين بالغربة فضلا عن اختلاف الأجواء وتباينها . فجاء شعره عفو الخاطر كما نحس بذلك من قوله ..:(58)

إنّ الشقاء يُرى بشقنباريــة جسدي وأسلمني لأكبر داهية
من بلدةٍ عنا نأت خيراتهـا لكن قطوف الشر فيها دانيـة
ملك العقارب والرتيلا أرضهـا والجو صاعقة والريح عاتية
قال الذين تخيروها منــزلاً فيها لنا عنبٌ وعينٌ جـارية
فأجبتُ بالشهواتِ حـفت مثلما حفتّ بها نارُ الجحيم الحامية

وفي انعطافة جميلة في فن هجاء المدن . فإننا واجدون الشعراء قد رأوا في تماسيح بلدٍ مثل القاهرة سبباً ومدعاة لهجائها بأسلوب يقوم على الموازنة بين مدينة اشبيلية والقاهرة . دون المساس بتاريخها أو سكانها . كقوله الشاعر ابن سعيد:(59)

يا نيلَ مصرٍ أين حمصُ ونهرُها حيث المناظر أنجمٌ تلتاحُ
في كلّ شطّ للنواظر مسرحٌ تدعو إليه منازةٌ وبطاحُ
وإذا سبحت فلست أسبح خائفاً ما فيه تيار ولا تمساحُ

وحمص هنا اشبيلية .

ولعل حبّه الجامح لمدن الأندلس وتعطشه لرؤيتها شكلّ صورة قاتمة أمام ناظريه فلا شيء يعدل مدنه ! نتلمس ذلك في تضجره من ضيق شوارع القاهرة وزحامها(60) ، بعد أن أدمنت عيناه رؤية الشوارع الفارهة والطبيعة الخلابة في الأندلس . ومردّ ذلك كما نرى يعود للانصهار الحضاري مع البيئة الأوروبية الذي أثمر عن عقلية جديدة عند الشعراء الأندلسيين , فيقول(61)

يقولون سافر إلى القاهره ومالي بها راحةٌ ظاهره
زحام وضيقٌ وكربٌ وما تثير بها أرجلٌ سائره

كما يبرر لنا من جانب آخر سبب إيثار الأندلسيين لبيئة الشام دون بيئة مصر للتقارب المناخي والجغرافي بينهما ويفسرّ لنا أيضا سبب إطلاق تسميات دمشق ، وحمص ، وحلب على المدن الأندلسية .

إزاء ما تقدم اتضح لنا أن الشعر الذي وقفنا عنده في هذا الباعث ،كان أغلبه شخصيا ينزع نحو الذاتية منزعا . أكثر من كونه هجاءً يقوم على كره مستديم . بل ـ كما ألفينا ـ هو آني يزول بزوال السبب أو انقشاعه . وعلى الرغم من ذلك كان يعد شائنا من وجهة نظرهم التي هي في مجملها الأعم حصيلة للتفاعل الحضاري والامتزاج الذي نجم عنه ثقافة أندلسية خاصة وذوق رفيع يختلف في جوانب كثيرة منه عن الشعراء الذين نحوا جانبا عن سبل الحضارة وقيّمها ورقيها . فألفوا أشياء عدّوها بسيطة لا ترقى إلى ذكرها في شعرهم . ولذلك لم ينل هذا الجانب وأعني به هجاء المدن بسبب النظافة مكانة عند الشعراء المشارقة كما هو الحال عند إخوانهم المغاربة . ويلاحظ أيضا تميز هذا الشعر باللغة المهذبة غير المتشنجة التي غالبا ما تكون حاضرة في مثل هذا المقام .

ثالثا / التقاعس عن اداء فروض الجهاد :

شبيه ذلك المنحى الهاجي المتقدم ذكره نجد ان الشعراء الاندلسيين التفتوا الى جانب مهم يفرض حضوره على مسرح الأحداث في ارض تقاذفتها الخطوب والاهوال . فانهالوا بالتقريع واللوم والهجاء على المدن واهلها الذين ارخوا عنانهم أمام الاعداء المتربصين وتقاعسوا عن اداء فروض الجهاد والمرابطة . وتحفظ

المظان الأندلسية نماذج عديدة في هذا المضمار وقفنا عند جلّها في كتابنا رثاء المدن في الشعر الأندلسي . وآثرنا في هذا المبحث ان نقف على اسلوب الشعراء الذي نحى نحو التهكم والسخرية لاستفزاز المشاعر لغاية يتشوف الشاعر الى اظهارها وهي ايقاظ هواجع النخوة والعقيدة لنصرة المدينة والحفاظ على بيضة الاسلام آنذاك.

لذلك انحى الشاعر الاعمى التُطيلي باللائمة على مدينة اشبيلية واهلها قعودهم عن القتال . متخذاً من الهجاء وسيلة لقرع الاسماع التي لاشك قد صُمَّت عند المناداة بالجهاد فقال :- (62)

أيا أهل حمص وُقدماً دعوتُ وهل تسمعون إلى مَنْ دعا

يقلّ لأ قداركم كل شي ءِ فكيف رضيتمُ بدون الرضا

ألا قد لحْنتُ لكم فاسمعوا وحاجيتُ إن كان يُغني الحجا

وبا لاسلوب نفسه لام الشاعر عباس بن فرناس (63) اهل طليطلة اذعانهم للأمر الواقع وانهزاميتهم الواضحة في تقبل كتائب الكفر . دونما قتال . حتى اضحت هذه المدينة حجراً دون بشر . على نحو قولة : (64)

أضحت طليطلةُ مُعطلةً من اهلها في قبضةِ الصقرِ

تُركتْ بلا أهل تؤهلها مهجورةَ الاكنافِ كالقبرِ

ما كان يُبقى الله قنطرةً نُصِبت لحملِ كتائب الكفرِ

وبنزعة قصصية اتخذها الشاعر ابن عمار (ت 477هـ) (65) في هجاء مدينة بلنسية للسبب ذاته الذي نوهنا عنه وهو التقاعس والتخاذل بل والتهاون امام بطش النصارى وُطرقهم الالتفافية . فصادَفَ أن تخلى وزيرها ابن عبد العزيز عن احد حصونها مقابل صفقة سياسية غير مُجدية مما دفع الشاعر الى تعرية هذة الاتفافيات المشينة التي جلبت لاهلها العار والدمار .فقال : (66)

خبِّر بلنسية وكانت جَنة أنْ قد تدلتْ في سواءِ النارِ

غدرت وفياً بالعهود وقلّما عَثَرَ الوفيّ سعي الى الغدارِ

جاء الوزيرُ بها يكشفُ ذيلها عن سوأةٍ سوأى وعارٍ عارِ

نكث اليمينُ وجاء عن سنن التُقى وقضى على الاقبالِ والأدبار

ماكنتم إلا كأمةِ صالحٍ فرماكمُ من طاهرٍ بُقدارِ

هذا وخصَّكُمُ بآ شأمِ طائرِ ورمى دياركمُ بأسوأ جارِ

فالوازع العقدي والوطني دفع الشاعرُ الى الاسترسالِ في هجائه للمدينة بعد أن اضمحلت الذاتية فيه أو كادت تختفي لتتحول الى نقدٍ لاذعٍ نسمعُ فيه صوت ضمير المسلم الحق وهو غاضبٌ وُمتذمِرٌ مما آل اليه الأمر . متكئاً في اظهار هجائه هذا على فن التلميح لقصة ثمود قوم صالح (ع) اما الشاعر ابن الجد (67) فقد نظر الى الأندلس جميعها نظرة عامة وغاضبة في الوقت نفسه . فهجا مدنها من خلال هجاء ملوكها الراتعين في الدعةِ والفسوقِ . غير مكترثين بما يحدث حولهم وما يحيق بمدنهم . بل أن بعض المدن كانت قاب قوسين أو أدنى من الانهيار التام . فوصف احد هؤلاء الملوك بالعجل الذي تراه معبوداً في مجلسه منتشياً فيه ولكنّه لا يقوى على مقارعة النصارى هلعاً منهم . مُلمَّحاً بذلك الى عجل بني اسرائيل الذي عبدوه وهو لا يملك نفعاً ولا ضراً .ومذكراً إيانا بقول الشاعر الأندلسي ابن رشيق القيرواني : (68)

مما يزهدني في ارضِ اندلسِ اسماءُ معتضد فيها وُمعتمدِ

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهرِ يحكي انتفاخا صولة الاسدِ

أما قول ابن الجد فهو : (69)

في كل يوم غريبٌ فيه ومعتبرٌ نلقاهُ أو يتلقانا به خبرُ

أرى الملوك أصابتهم با ندلسٍ دوائر السوء لا تبقى ولاتذرُ

ناموا وأسرى لهم تحت الدُجى قدرٌ هوى بأنجمهم خسفاً وما شعروا

وكيف يشعرُ منْ في كفّه قدحٌ يحدو به مُلهياهُ الناي والوترُ

صَمَّتْ مسامعه من غير نغمتهِ مما تمر به الآياتُ والسورُ

تلقاهُ كالعجلِ معبوداً بمجلسهِ له خوارٌ ولكن حشوُه خور

إزاء ما تقدم من المقطوعات التي أثرنا الوقوف عندها عن سواها – على قلتها – لتقارب المغزى وتكراره . يمكننا أن نقول : انّ حبَّ الوطن (المدينة) قد سَكَنَ في قلب الشاعر الاندلسي منذ انْ لامست قدَمهُ ترابها فهاجت مشاعره وتوقدت عواطفه فحرك لسانه ليعبر عن ذلك كلّهُ بشعر يُمثل شديد التصاق الشاعر بوطنيته الحقَّة .فهذا الواجدُ جَعَلَ من حبّه قلقاً لا يبارحُه في غدوه ورواحه . فانْ رأى إيجابا مدحهُ .وان رأى سلباً هجاه وقوَّمَهُ .وان رأى خطراً يحومُ حولهُ استصرخهُ . وان كبا رثاهُ وان اغتربَ اشتاق اليه .وهكذا تألفت انساق حَب الوطنِ فيما بينها .بل وانصهرت في بوتقة (وطنية) واحدة . ولعل ابرز ما كان يميز هذه المقطوعات , تلك النبرة المتشددة التي طفحت على سطحها فجعلت الشاعر خطيباً واعظاً , رسولاً لأمته ومدينتهِ .وتميزت ايضاً بالنقد الساخر اللاذع حيناً والمحذر حيناً أخر . وفق جرأة شعرية في القول , ساعدته في ذلك ان الشعراء الناقدين لم يكونوا تبعاً لأميرٍ أو ملك . أو صدىً لأصواتهما.

رابعا :هجاء المدن بسبب الفتن واضطراب القضاء .

لم يكتف الشعراء الاندلسيون . بهجاء المدن للاسباب والبواعث التي ذكرناها .فجالوا بنظرهم الى استشعار الوضع الاجتماعي ملتمسين فيه ما كان شائناً يخرج عن نطاق الاخلاق الاسلامية . فظهر شعر يصدرُ عن الشعراء بنزعة اخلاقية غايتها التوجيه والتصدي للعادات المنحرفة عن المفهوم الاسلامي من خلال تقبيح صورتها في اعين الناس فيفروا عنها وينفروا . فاتخذوا طرقا شتى لذلك كالنّصِ عليها مباشرة أو الاكتفاء بالتعريض والتنويه .

لقد استعرت الفتن والعدواة والبغضاء في المدن والتاثت الأمور واضطربت الموازين ، واختلّ آمر القضاء وَفسدْ . وآضحى المجتمع يلوذ تحت رحمة التناقضات التي لا مخرج منها . والآمر يكون اكثر ايلاماً عندما تصدر الأخطاء من اولي الآمر والمعروف ممن يتوسم الناس فيهم صلاحاً واعني القضاة منهم والفقهاء فتعرضوا الى هجاء الشعراء في اكثر من موضع بحيث تمثل افعاله واقواله فساداً عاما ، ولاتمثل موقفا خاصا بالشاعر لغرض ما في نفسه دفعه للهجاء ، وبذلك تكوِن الاحكام التي تطلق عليه وعلى مدينته التي يتبوأ مركز العدل فيها مجانبة للحقيقة. لاحظ معي ذلك الموقف العام الذي شخصّه الشاعر ابو الحسن المالقي (ت528 هجرية) (70)في مدينة مالقة وفقهائها على نحو قوله ساخرا منهم (71) :

إذا رأوا جملا يأتي على بعد مدو ا اليه جميعاً كفّ مقتنصِ

ان جئتهم فارغاً لزوك في قرنٍ وان رأوا رشوةً افتوك بالرخصِ

وانبرى شعراء اخرون لتشخيص جوانب الانحراف في سلوك القضاة وابتعادهم عن النهج العدلي السليم , حتى غدا القصور في القضاء سمة تشين من قدرِ المدينة وتحط من مكانتها بين المدن , واضحى تبعاً لذلك سبباً لهجائها من قبل الشاعر (اليكي) (72) , كما الفيناه في الهجاء قاضي مدينة (مرسية) 073) :

بمرسية قاضٍ تجاوز حَدَّهُ واخطأ وجْه الرُّشدِ في كل مقصدِ

يطالبه الايتام في حلّ مالهم ويطلبهُ في حقّه كل مسجدِ

فما بيَّضت كفاك بالعدل لم تزل تسوده بالجورِ كفٌّ ابن اسودِ

فلقد عبرَّ الشاعر عن غضبه وسخطه السريع على المهجو الذي يمثل قمة الهرم العدلي في المدينة للانتقاص من المدينة والقاضي كليهما . ولم يتحرج او يجد مندوحة من توخيه الهجاء سلاحا نافذاً ازاء المدينة التي سكتت على اعماله وتصرفاته .وكيف لا يجيد ذلك وهو الهجاءُ الذي لاينشط لسانه الا في هذا الغرض ولا تتفتح قريحته الا بهِ حتى لُقِب ابن رومي الاندلس .

وهجا بعض الشعراء مدناّ اندلسية بسبب انصياع اهلها لحكم اليهود وتغليب فقههم في المعاملات على الفقه الاسلامي . مما يعد خروجاً عن العقيدة وينذر بمخاطر جمّة تغيرّ من النهج الاسلامي هناك من جانب . ويمثل سخطاً واضحاً ونقمة على تسلط هؤلاء على ملة المسلمين من جانب اخر. فالشاعر ابو

حفص العروضي الزكومي (74) هجا مدينة دانية لما طُولِب بمكسٍ كان يتولاه يهودي .فعدَّ ذلك عيباً واستفزازاً لمشاعره الدينية وجيوبه .فقال (75) :

يا أهل دانية لقد خالفتم حكم الشريعة والمروةَّ فينا

مالي اراكم تأمرون بضدَّ ما امرت – ترى نسخ الاله الدينا ؟

كنا نطالب لليهود بجزيةٍ وارى اليهود بجزيةٍ طلبونا

ما ان سمعنا (مالكاً) افتى بذا لا لا ولامن بعده (سحنونا) (76)

هذا لو انّ الائمة كلهمُ حاشاهم بالمُكس قد أمرونا

ما واجبُ مثلي بمكس عدله لو كان يعدل وزنه قاعونا (77)

ولقد رجونا ان ننال بمد حكم رفداً يكون على الزمان معينا

فالآن نقنع بالسلامة منكم لاتأ خذوا منا ولا تعطونا

ففضلاً عن تلك المعاني التي ذكرناها فان الشاعر في قصيدته هذه قد ضمنهما نقداً لاذعاً للأوضاع السياسية والاقتصادية المتردية , مما يبيح لنا القول بتشابك نسيج هذا الهجاء وتوحد لحمته في عرض واحد غايتة وضع الإصبع على الخطأ وتنبيه القائمين على امور الدنيا والدين من اجل الاصلاح ودرأ الفتن .

ويبدو ان الشاعر (اليكي) الذي تحدثنا عنه قد انساق في هجائه , ومضى على مذهب انتقادي واضح لايكاد يفارقه فما ان يرى اختلالاً في الامور وطغيان في الراي , الا وكان له فيه شعراً. فها نحن الان نورد له مقطوعة من شعره صب سخطه على المرابطين ودولتهم لاسيما عندما حكموا الاندلس بعد جوازهم الثاني لها . واضحت مدنهم منطلقا ومثابة للانقضاض على دولة بني عباد وسواها من دول الطوائف . فحاول ان ينبَّه من انجرار الناس وراءهم ووراء افكارهم ,باسلوب تميز ببذاءة اللسان وقذع على نحو لم نعرف له مثيلاً في الشعر الاندلسي , لما عرف عنهم التزاما واضحاً بالخط الاسلامي وقيمةَّ التي تناى عن الفحش في اللسان وثلب الاعراض . وهذا ما يبرر لنا من جانب اخر ترفع اكثر الباحثين القدامى في الشان الاندلسي من ذكر الهجاء المقذع في مؤلفاتهم وتراجمهم كما هو الحال في رفض صاحب كتاب

الذخيره تضمين موسوعته ذكراً للهجاء المقذع والهجائين (78) وغيره فعل كالمراكشي صاحب كتاب المعجب (79) والامر كذلك نجده عند ابن الابار في كتابه المقتضب .(80)

وعوداًعلى بدء , فانّ اليكي اراد –ربما – تجريد المرابطين من اجلّ صفة جاءوا بها وهي الروح الاسلامية على الرغم من ان معاصريهم او الذين كتبوا عنهم ثبتوا ما راه اليكي من دناءة في نفوس المرابطين وعزمهم في مستنقع الجاهلية وانزياح فقههم عن المبادئ الاسلامية العامة . على نحو ما راه في شعره (81):

في كلّ من ربط اللثام دناءة لو انّه يعلو على كيوانِ

ما الفخر عندهم سوى ان ينقلوا من بطن زانيهٍ لظهر حصانِ

المنتمون لحمير لكنهّم وضعوا القرون مواضع التيجانِ

لاتطلبَّن مرابطاً ذ اعفةٍ واطلب شعاع النارِ في الغدران

لاشك ان ماذُكِر من تندر هنا ينَّم عن احساس بالمسولية تجاه وطنه الكبير الاندلس من وجهة نظره من خلال دعوته لعدم الانجرار وراء الفتنة العمياء التي حدثت بعد عبور المرابطين للأندلس وبقائهم الدائم . ويظهر في الوقت عينه مقدار تذمر الرعية منهم بعد ان استمكنوا على مقاديير الامور ففشا الظلم وساد الطغام ,مما ولَّدَ ردة فعل قوية انذاك كادت ان تعصف بالامة , لولا تدارك الموحدين للامر فاقترب الهجاء هنا الى النقد السياسي والاجتماعي أكثر من قربه نحو التندر والسخرية والهزء التي عُرف بها فن الهجاء .ونظرة عجلى الى مقطوعة ابن عباس (82) في هجاء بلنسية ستظهر لنا مقدار التماهي الحاصل بين الشاعر ووطنه حتى استحال ذلك تطرفاً ثم تطيراً من ذكر مدينته التي ارخت حبالها امام المتربصين من الاعداء واضحت مرتعاً للفتنة , بعد ان حفّت رباها بمكروهين الجوع والحرب فقال : (83)

بلنسية بيني عن القلب سلوة فانك روض لا احن لزهرك

وكيف يحبُّ المرء داراً تقسمت على صارمي جوع وفتنة مشركِ

وبحدة اخف نسمع صوت الشاعر ابي الفتح البستي (84) وهو يتعجب من علية قوم مدينة (بست) (85) تصارعهم على ديوان الكتابة وتشرذم قرارتهم في حين يتربص بهم العدو الدوائر للانقضاض على مدينتهم فهجا المدينة وكتابها على نحو قوله : (86)

أكتّابِ (بست) كم تناحركم على كتابة بستٍ وهي سخنةَ عين

وخفَّ حنينٍ دون ما تطلبونه فكم بينكم في ذاك حرب حنين

كانت وقفتنا في هذا المبحث وقفة عجلى مع النصوص والمقطوعات لئلا يتداخل منظورنا لهجاء المدن مع المنطور الاخر في الشعر الذي يدرس الفتنة والعداوة حينما عُدت احد اهم اسباب انهيار المدن . مما يطول بنا الامر في غير مطال بهذا الموضع

خامسا . القحط وقلة الاقوات سبب لهجاء المدن:

لم يعرف بلداً كالأندلس واهله حُباً للترحال من مدنهم صوب مدن اخرى طلباً للعلم او تأدية لوظيفة او تكليفٍ او هجرة ... وسواها من الاسباب . فازدادت تبعاً لذلك شكواهم مما يعانون منه اومايصادفونه في حِلَّهم وترحالهم . حتى غلب الشعور بالغربة على معظم قصائد الشعراء الاندلسيين وفي اغراضها المختلفة .وكان الشعراء – كما بدا لنا من خلال هذا البحث او سواه – يشعرون دوماً بالضيق والالم لاسيما عند المقارنة بين مرتعهم الأصلي وبين المدن الحاضنة الجديدة لهم . حتى وان كانت هذه المدن أندلسية ايضاً . فظلت الغربة هاجساً يقض مضاجعهم وتسكن في جنباتهم كل حين . فتراه يشعر بالقحط والجدب وقلة الأقوات وضيق العيش في مدينه كالمرية مثلاً في حين واقع حال المدينة يبنئ عن حالٍ غير ما قرره احد الشعراء ممن هاجر الى هذه المدينة بعد ترك مدينته . فهي اشهر مراسي الاندلس وأعمرها وتتميز أراضيها الزراعية بنظام سقي متطور تستخدم فيه الدواليب لرفع الماء . ويعمل أهلها في طرز الحرير والحلل والديباج. وفيها من الفواكة انواع كثيرة مع رخصٍ واضح في الاقوات والزرع . بل لم يكن بالاندلس اكثر منها مالاً (87). الاننا ظفرنا ببيتين من الشعر لهذا الشاعر يدفعه بذلك دافعاً شخصيا محضاً متأتٍ من كرهٍ واضح للمدينة . فقال (88)

قالوا المريَّةَ صِفْها فقلتُ نطٌّ وشِيحُ

وقيلَ فيها معاشٌ فقلتُ إن هَبَّ ريحُ

في حين كان الشاعر السميسر اقل حدةً في رايه بمدينة المريّة فبيّنَ ان ذم هذه المدينة يتأتى بسبب العامل الجغرافي واشتداد الريح من عدمها فتجلب عند ئذ السفن المحمّلةَ بالبضائع وليس في ذلك عيبٌ في

اهلها . كما انّ الميرة تجلب لها من ارض العدوة المغربية . ويبدو انّ الشاعر لم يجد عيباً يتخذه مادةَ لهجائة بعد ان اجهده البحث في ذلك فلجاَ إلى العيب الجغرافي . لاسيما اذا ذكرّنا ان الشاعر الذي نعنيه هو من كان ((باقعة عصره واعجوبة دهره))(89) لاسيما في الهجاء .كما اود ان اثير انتباه الباحثين في الشأن الاندلسي الى ان البيتين المتقدم ذكرهما دون نسبة الى الشاعر في هجاء المرية , أرجحهما للشاعر نفسه (السميسر) لتقارب معناهما وجنوحهما نحو المقطعات دون القصائد فجاءتا متوافقتين مع روح الشاعر وأسلوبه .

ولم اجد فيما استطعت الوقوف عليه من مصادر الادب الاندلسي التي نيفت على الستين مصدراً من نصوص تسعفني في القاء الضوء على هجاء مدنٍ بسبب القحط والعوز , وارجعت سبب ذلك بعد ان اضناني البحث الى وفرة خيرات هذا الصقع الإسلامي الذي حباه الله بطبيعة ساحرة وارض زراعية صالحة . فارضها كما هو معروف لا تعَدم زريعة . وما وقعت عليه من نتفٍ قليلة لاتكاد تسعف او تمنحنا مندوحة في اطلاق الاراء كقول الشاعر عبادة عبد الله بن ماء السماء (90) في هجاء احد حصون قرطبة لما لقاه من شحٍ في اهلها بعد ان نزل ضيفا في ديارهم . فراى – ومن باب الطرافة – أن الكلاب شاطرته أكله لأنها عَدِمت ان تجد في المدينة اكلاً – وعلى فكاهة هذه الابيات فان هجاءَها الى السخرية اقرب من القذع الذي نتوقع أن نجده تحت مسمى هجاء المدن . فلا يمكن – اذن – الحكم من خلال ابياتٍ شحيحة على شحة الأقوات في مدينةٍ كغرناطة فقال : (91)

ما مِنْ سبيل الوفاء والعهدِ انْ تطلقوا كلبكم على زبدي

لو شبع الكلب في كفالتكم لم يتبع مني الى الزبد

عليكم ارش ما جنى ولكم نسْخُ ملام القبيح بالَحدَّ

اما شاطبة فقد نالت سهاماً من الشاعر محمد بن عبد الرحمن (ت590 هـ) فهي بخيلة شحيحة لا يستقر فيها الغريب .وقد وقفنا على الابيات في موضع متقدم من هذا البحث .

<u>سادساً:الغربة والاغتراب سببا لهجاء المدن :</u>

شكلّت ألفة المكان من عدمها هاجساً ظل يراود الشاعر الاندلسي في غدوه ورواحه . وفي حلّه وترحاله . فما أن تطأ قدمه مدينةً إلا وبحث فيها عن مواطن الجمال والاستئناس , فاتحاً قريحته مستعذباً منشداً بارجائها أناشيد الفرحِ والانتشاء أو تراه – وهو في الاغلب الأعم – باحثاً عن المساوئ التي تتوارى خلف أستار الطبيعة أو تسكن في النفوس فيعريها ويظهِرها . وان لم يجدها فانه يختلقها لتوافِق روحّهُ التواقة للتشبث بأي عيب يكون مدعاةً لهجائها . أو لخلق حالة من المقارنة بينها وبين المدينة التي ارتحل منها وغاب . كما تظهر – وبوضوحٍ تام – مدى تعلق الشاعر بمدينته وماتعجَّ به نفسه من مختلف المشاعر والمعاني السامية النبيلة .

شكلَّ هذا الهاجسُ منحا جديدا من مناحي هجاء مدن وباعثآ له . وهو بذلك يقترب من النقد الاجتماعي والسياسي على الرغم من أن ظاهرهُ شعر ذاتي شخصي . تلعبُ به العوامل النفسية والقلق المتولد من الخوف من المجهول . فلقد اتصل الشاعر الاندلسي كسواه من الشعراء بمدنهم ايما اتصالٍ بلغ حد اللا شعور . فهما (اي الشاعر والمدينة) في ارض واحدةٍ اكتنفتها مخاطر جدية تتمثل في العدو الفاغِر فمه لالتهام مرتكزات العقيدة والحضارة والهوية من خلال ذلك الصراع الحضاري المتمثل بالمواجهة اليومية في معادلة تتطلب من الاندلسي الحفاظ على طرفيها لئلا يسقط في ركام الحضارات. فالتجاذب الحضاري الجديد الذي افرزته حالة الانخراط بالمجتمع الجديد. الذي لاشك انه مجتمع يختلف في كثير من قيمه وعاداته عن المجتمع العربي الذي انحدر منه .كما لا ننسى ذلك الاغتراب الروحي الذي اشرنا اليه من خلال المقارنة المستمرة بين بلد المولد والصبا وبين بلد الغربة والشعور المستديم بها , حتى انهّم من كثرة ما عانوه منها تجدهم يتندرون في ذكر اسم الغربة – فلا غرابة ان نشير بهذا الصدد ما تلاعب الشعراء به من الفاظ في تفسير معنى الغربة من جهة نظرهم .فمن جانب لغوي لايخلو من الطرفة قسموا كل حرف من حروف لفظة الغربة بشكل يماثل ما اختلج في صدورهم على نحو ل الشاعر احمد بن ابي بكر القرطبي (92)

وحروُفها من كل بؤسٍ ركبتْ لتعمَّ من تغشاه بالاشجان

فالغين من غمٍّ وغبن ٍ دائمٍ والرّاءُ منُ رزءِ على الأوطانِ

والباءُ من برح وبينٍ وبلى والهاءُ من همٍ وهلكٍ دانِ

انّ اكثر باعث لهجاء المدن عند الشعراء في هذا المحور يتجلى بتلك النظرة التي تلحقهُ من الحاظ الناس وعيون المدينه فتشعره بالدونية . من جهة وتذكرّهِ بانزياحه عن وطنه , من جهة اخرى . فعلى غرار هذا الاحساس والشعور بالاهتضام والتهميش .نستشعر ما قاله الشاعر البسطي حينما ذم اهل بسطة (مدينته) بعد ان تسرب الاغتراب الروحي الى قلبه واشعره بالغربة وهو بين اهلّه وخلانّه فقال : (94)

ايها الصُّب بسكنى بسطة يبتغي العِزّ بها والشرفا

انصرف عنها لسكنى غيرها فكلا الامرين عنها انصرفا

لاتؤمِّل نيل شيٍّ منهما ما عليها المَلوان اختلفا

بلدةٌ فيها الهوا مُنحرفٌ كمزاج الناس فيها انحرفا

حَسَدٌ صاحَبَهُ البغي بها ذا على هذا بها قد وقِفا

اكثرُ الناس بها من تلفِهِ بِكلا الوصفينِ فيها عُرِفا

ويتعمق الشعور بالاغتراب في شعره ويضحى اكثر ايلاماً ووقعاً من المقطوعة اعلاه متخذاً اسلوب المحاججة طريقاً للوصول الى النتيجة المنطقية الحتمية التي تساعده على تقبل الغربة في بلادٍ غير بلاده مهيأ الدواء قبل العلة . فقال هاجيا : (95)

الكلبُ صار ببسطة اعلى واشرف من فقيهْ

أنّى فقيهٌ يعتلي لمحلّهِ أو يرتقيهْ

الكلب مالكُهُ بها من كلَّ ما يخشى يقيهْ

وفقيهها من اهلها ما ساء منهم يتقيهْ

فتراهُ عند خروجهِ يرتاعُ ممنْ يلتقيه

أفعاقِلٌ يرضى بها وطناً لسكنى ينتقيه ؟

وتبلغ المعاناة ذروتها حينما صرّح بوجوب الانزياح التام عن مدينته التي ارخت عنانها للغريب , وفتحت قلبها له , وهمَّشت ابن المدينة واهتضمت حقه باهمالٍ متعمدٍ فقال فيها ابياتاً نستشف من خلالها نفثات المصدوم :(96)

قالوا غدا البرَّ اني في غلّيْرةٍ (97) في الوقت صَدْرَ صَدْ ورِها الاعيانِ

فأجبتهم لاتنكروا فببسطةٍ مازال صَدَرَ صُدورِها البرّ اني

وسئم المقام في غرناطة الشاعر ابو الحسن علي بن فضل (ت 627 هـ) (98) بعد ضياع اماله ومقاصده على الرغم من جمالها الاخاذِ وحسنها , وطيب هوائها , فراحَ يذكر ذلك معرِضاً بغرناطة , ببيتين نشَم من خلالهما رائحة الهجاء ,فقال (99) :

سئمت المقام بغرناطةٍ والسُنُ حالي بذا تنْطِقُ

وما انكرت مقلتي حُسنها ولكنّها غيرَها تعْشَقُ

ولم تقتصر دعوة الرحيل والانزياح هذه على الشاعرين البسطي وابن الفضل بل نجد صداها عند الشاعر المالقي العاملي محمد بن عمثيل (100) الذي دعا الى الرحيل من بلده مالقه بعد ان الفى تغيراً واضحاً في طباع اهلها على نحو قوله في قصيدته التي اجتزءنا منها قوله : (101)

واذا الديارُ تغيَّرت عن حالها فدعْ الديارَ وباكر التحويلا

ليس المقامُ عليك حتماً واجباً في بلدةٍ تدعُ العزيز ذليلا

وهكذا فانّ الشعراء ممن لم يستطع لسانه ان يعبرِّ عن امتعاضه من سلوك المدينة واهلها تجده اما ان يدعو الى الرحيل الى ديار غير دياره كما الفينا , او تجده ينكفأ على نفسه ويلزم بيته .معبراً وبطريقة اخرى غير مباشرة عن هجائه لتلك المدينة التي لم تستطع ان تتحمل وزر اماله والامه وهذا ما نجده واضحا في دعوة الشاعر ابن الحداد (102) للانزياح التام عن المجتمع وفراره منهم لما عُرِف عن هولاء سوء معاملة في مدينته المرية فقال فيها شعراً لا يمكن الا ان نستشف منه الهجاء والتعريض في ذلك (102) :

لزِمتُ قناعتي وقعدتُ عنَهمُ فلستُ ارى الوزير ولا الأميرا

وكنتُ سمير اشعاري سفاهاً فعِدتُ لفلسفياتي سميرا

وللشاعر المذكور هجاء في مدينة غرناطة (104) ورموزها لايسمح المقام بذكره لفحشه ولا عجب في ذلك فهو مَن شذّ من شعراء صقعه في الهجاء الذين كان هجاءُهم على مذهب مَنْ تنشده العذراء فلا تخجل ولا تستحي .وهجيت صفاقس من قبل الشاعر ابوعبد الله محمد بن ابي الشيخ تلك المدينة التي لم يصفو له العيش فيها , بعد ان عُيَّن والياً . فاصابته عقده الاغتراب , كما اصابت سواه ,فما راقه المقام , فهجاها : (106)

صفاقسٌ لاصفا عيش لساكنها ولا سقى ارضها غيثٌ اذا انسكبا

ناهيك من بلدةٍ من حلّ ساحتها عانى بها العاديين الروم و العربا

وليتها فتولتني الهموم وقد لقيتُ من سفري في ارضها نصبا

كم ظل في البرَّ مسلوباً بضاعته وبات في البحر يشكو الأسر والعطبا

قد عاين البحرُ قُبحاً في جوانبها فكلما هَمَّ ان يدنو لها هربا

ولم يدع الشاعر ابن المرحل (ت 699 هـ) (107) عُمرهُ يمرُّ دون ان يهجو اهل المغرب فاصبح شعره وصمَّة عارٍ عليهم (مِن وجهة نظره) لما لاقاه منهم من جحود وخصومةّ . وآية ذلك شعره الذي اوصى ان يكتبَ على قبره (108) :

زر غريبا بمغرب نازحاً ماله ولي

تركوه موسداً بين صخرٍ وجندلِ

ولتقل عند قبرهِ بلسان التذللِ

رحم الله عبده مالك بن المرحلَّ

عوداً على بدء رأينا أن الشعراء في هذا الجانب قد عقدوا مقارنة بين مدنهم التي ألفِوا العيش فيها وبين المدن التي أقاموا فيها . فكانت تلك المقارناتِ حلبة صراع ينتصر الشاعر في نهاية الأمر لمدينته التي يفضلَّها عن سواها . معريا المدينة الأخرى باوصاف تلامس الهجاء حيناً أو تستكنه في احايين أخرى . فمما جادت به قريحة الشاعر ابي الفتح بن فاخر (109) في هجاء (رندة)(110) قوله (111) :

قبحاً لرندة مثلما قبحت مطالعة الذنوبْ

بلدٌ عليه وحشةٌ ما أن يفارقه القطوبْ

ما حلّها أحدٌ فين وي بعد بينٍ أن يؤوبْ

لم اتها عند الضحى الا وخيل لي الغروب

أفقٌ اغمٌّ وساحةٌ تملأ القلوب من الكروبْ

ارى من باب اللطف وحسن الختام أن أزجي قصيدةً للشاعر ابي عامر بن الأصيل (112)
تعدُّ من اطول قصائد هجاء المدن في الاندلس . وهي بالحقيقة تلخّصَ أبياتها البواعث الستة التي قررناها في هجاء المدن .وساترك التعليق عليها لانّ أبياتها ابلغ مما نعَّلقُ عليها لوضوحها . ويبدو أن الشاعر قد تنقِّل من مدينةٍ الى أخرى طلباً للرزق . ولكنه لم يوفق في ذلك فذَمَّ تلك المدنِ وهجاهم با وصافٍ معينة على نحو قوله (113) :

الى أين المفر ولا فرار ومن لي بالقرار ولاقرار
أرى الأوغاد يعتمرون دورا ومالي في بلاد الله دار
اجول فلا أرى إلا رعاعا كبارهم إذا اختبروا صغار
إباحة لا وقاك الله شرا فاهلك أهل مفسدة شرار
اشلب لاجزاك الله خيرا فلا خير لديك و لاخيار
اشنتمرية قبحت درا كؤوس المخزيات بها تدار
اشلطيش ألا غرق وشيك تموج على ثراك به البحار
أأونبة تعدتك الغوادي ولا هطلت بساحتك القطار
بلاد عريت من كل خير فملبس أهلها مقت وعار
غلطت فزرتها فرأيت قوما منازلهم وان عمرت قفار
ترد على أشعاري ويجفى رسولي,والنباهة لي شعار
شتوت بها على كره فغطى على جسدي ومعرفتي الغبار

الخاتمة ونتائج البحث

لابد لنا ونحن نختتم بحثنا هذا أن نبرّز أهم الظواهر التي عمد البحث على إثارتها ودراستها آملين أن تمنح القارئ انطباعا عما توصلت إليه دراستنا وكالاتي:

- لم يكن هذا اللون من الهجاء بدعا في الشعر الأندلسي اذ أن أصوله مشرقية تضرب بجرانها الى القرن الأول للهجرة أو الثاني منه على ابعد تقدير. وما تميُز الأندلسيين بهذا اللون يعود إلى طريقة التعامل مع صوره من خلال تعدد البواعث الدافعة له.
- شعر صدر في اغلبه بنزعة إسلامية غايتها التوجيه والتصدي للعادات السلبية المنحرفة عن المفهوم الإسلامي .من خلال تقبيح صورتها في أعين الناس ليفروا منها وينفروا .من خلال جملة من البواعث اتصلت فيما بينها فكوَنت نسيجا من الشعر الهاجي للمدن .تنفض الغبار عن القيم الأخلاقية السلوكية. وتصبو في النهاية الى هدف واحد .هو محبة الوطن (المدينة)عن طريق إصلاح ما كان سببا لهجائها.
- استطاعت الأنماط الشعرية في هجاء المدن ,أن تمنحنا بعدا جديدا للمدن غير البعدين الجغرافي والتاريخي اللذين أسعفتنا به كتب التاريخ والبلدان . اما البعد الجديد فهو تلك الجاذبية القوية بين الشاعر والمدينة وتعلق بعضهما بالآخر بآصرة لايمكن فصلها كتعلق الروح بالجسد.لاسيما عند بلوغ شوقه لمدينته حدا يدعوه للموازنة بين الوضعين في معرض هجائه.
- اظهر البحث شكوى الشعراء من الغربة وانتزاحهم عن وطنهم وعدم الرضا والسخط على المدن .حتى وان كانت من الناحية (العملية) مدنا تلبي الطموح .وعلل البحث ذلك ما حملته أفكاره من انطباعات سوداوية عن مدن المهجر حتى قبل الهجرة إليها. مما يدل دلالة أكيدة على تعلق الشاعر الشديد بموطن الولادة والصبا.
- ان هجاء المدن الذي وقفنا على نصوصه كان في اغلبه هجاء شخصيا ينزع نحو الذاتية منزعا .وهو آني الانفعال أكثر من كونه يقوم على كره مستديم للمدن.
- لم يعمد الشعراء في قصائدهم إثارة النعرات القبلية أو الطائفية كما الفينا ذلك عند الشعراء المشارقة.بل اتجهوا مباشرة نحو المدينة وأهلها باحثين عن العيوب التي تثلب بهائها وتحط من قدرها.
- ما عد شائنا في نظر الشعراء الأندلسيين يستدعى هجاء المدينة ,إنما هو حصيلة للتفاعل الحضاري في البيئة الجديدة الذي نجم عن ثقافة أندلسية خاصة وذوقا رفيعا يختلف عن ذوق الشعراء العرب في الأمصار الأخرى.

-بدا لنا ان الشاعر اذا طلب عيبا في مدينة ما وجده .وان لم يجده فانه يصوغه من نسج خياله,بما يوافق تطلعاته ورؤيته عن المدينة واهلها.

-.مما توصلت اليه الدراسة ايضا ان اسلوب معظم الشعراء في هذا اللون الشعري كان ينوء تحت وطأة التقريرية المباشرة بل وجنوحه في بعض مقطعاته نحو النثرية في التعبير .لاسيما حين تعلق الامر بالنصح والارشاد والتذكير بالقيم والمثل.وبذلك لا يرقى في مستواه الفني للنماذج الشعرية المشرقية في الغرض نفسه لخلوه من الابتكار والتوليد في الصور الشعرية.الا ما ندر في بعض الابيات التي نحت نحو الطرافة في رسم صورة المدينة المهجوة.كما الفينا غلبة المقطعات على القصائد لما للأولى من حظها في الولوج في الاسماع بتركيز اقوى وابلغ.وبذلك لانتوقع ان نجد مضاهاة للشعراء المشارقة في هذا الاتجاه اوحتى مجاراتهم.

-لا ننسى ان نشير الى ان ما ذكر من الفاظ في الشعر الذي وقفنا عنده تحمل في طياتها نزعة نقدية ساخرة او معيبة .لاتقلل من شان المدينة في تاريخها وحضارتها . فلكل مدينة قصتها ودورها في الركب الحضاري ساعتذاك.

-كما لاننسى ان نشير أيضا الى الصعوبات التي واجهت الباحث في اصطياد صور هجائية للمدن أكثر مما استطعت أن أثبتها في هذا البحث. أو تلك التي احتفظ بها في جعبتي ولم اثبتها هنا لتكرار المعاني والأفكار .فضلا عن صعوبة الحصول عليها بعد تأنف القدامى من المؤلفين الأندلسيين من إيراد الهجاء في موسوعاتهم . وإحجامهم عن ذلك لأسباب دينية أخلاقية.والأمر يزداد إيغالا في ذلك فيما يخص هجاء المدن ...والله الموفق

الهوامش:

(1) رثاء المدن في الشعر الأندلسي . رعد ناصر الوائلي .

(2) ينظر الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام : ص28.

(3) الشعر والشعراء لأبن قتيبة : 1/ 287 .

(4) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري : 430 .

(5) العقد الفريد : ص41 .

(6) قرأت في موقع د. مقداد رحيم الإلكتروني أنه يروم تأليف كتاب بهذا الصدد لكنه لم ير النور بعد ومن جانب آخر فان منتدى الأندلس لم يضم في موقعه أي بحث بهذا العنوان وهو المعني بالشأن الأندلسي تاريخا وأدبا وفكرا وحضارة .

(7) تنس : مدينة بالأندلس بالقرب من مليانة بينها وبين البحر ميلان وهي مدينة قديمة مسورة .

(8) الروض المعطار : ص138 .

(9) ترجمته في أدباء مالقة ص372 .

(10) تادلى : مدينة من بلاد المغرب قديمة في بنائها وتاريخها ومشهورة بخيراتها . ابتنى المرابطون فيها حصنا .

(11) عبد السلام الجراوي : احمد بن عبد السلام المعروف بالشاعر المغربي . ترجمته في التكملة ص128 . الغصون اليانعة ص98 وفيات الأعيان 7/ 12 .

(12) الروض المعطار ص127 .

(13) شاطبة : إحدى مدن الأندلس الجليلة المتقنة حصونها وهي قريبة من جزيرة شقر مشهورة بصناعة الكاغد .

(14) صفوان بن إدريس التجيبي : أبو بحر بن إبراهيم من مدينة مرسية (ت 598 هـ) صاحب كتاب زاد المسافر . ترجمته في تحفة القادم ص119 . والمغرب 2 / 260 .

(15) الروض المعطار : ص121 .

(16) ابن صاحب الصلاة . ترجمته في الذيل والتكملة 6/ 166 . تاريخ قضاة الأندلس ص115 . أدباء مالقة ص108 .

(17) الروض المعطار : ص121 .

(18) قابس : مدينة من بلاد أفريقية بينها وبين القيروان أربع مراحل وهي مدينة صحراوية كبيرة .

(19) أبو عبد الله الحنفي : ترجمته في الروض المعطار ص450 .

(20) الروض المعطار ص450 .

(21) عبد الملك بن عيشون : ترجمته في الروض المعطار ص60 .

(22) أشير بلدة من بلاد الزاب بناها زيري بن مناد الصنهاجي ولذلك تعرف ببلاد أشير زيري . تتميز بآثارها القديمة . وهي حصينة . وتعد من أهم بلاد المغرب آنذاك .

(23) الروض المعطار : ص60 .

(24) بسطة : مدينة أندلسية اشتهرت بطبيعتها الساحرة وزراعتها الغنية وأسواقها التجارية .

(25) عبد الكريم القيسي : شاعر من أهل نباهة وعلم من أسرة قيسيه سكنت بسطة له شعر كثير . ويعدّ آخر شعراء الأندلس .

(26) ألبسطي آخر شعراء الأندلس : ص69 .

(27) أبو الحسن جعفر بن الحاج ، ذو الوزارتين . يعدّ من أعلام مدينة الورقة عرف عنه شاعرا وكاتبا . كان حيا سنة (494هـ) ترجمته في المطرب ص153 . معجم المؤلفين 3 / 130 .

(28) المطرب من أشعار أهل الأندلس : ص153 . المغرب 2 / 280.

(29) ألبسطي آخر شعراء الأندلس : ص186 .

(30) نفسه :ص194 .

(31) نفسه : 196 .

(32) ترجمة المطرب ص159 والروض المعطار : ص199 .

(33) تريش : الاسم الثاني لتونس وسميت بذلك نسبة لصومعة راهب بالاسم ذاته .

(34) الروض المعطار : ص199 .

(35) نفسه : ص541 .

(36) سلا : في المغرب بينها وبين مراكش على ساحل البحر ست مراحل وهي مدينة قديمة ولها أسواق كثيرة .

(37) نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب : ص362.

(38) عباس بن فرناس التاكرني الأندلسي من أصول بربرية (ت 274 هـ) له باع في الأدب والعلوم الصرفة . ترجمته في جذوة المقتبس ص300 والمغرب في حلى المغرب 333/1 .

(39) طليطلة : مركز جميع الأندلس ، كانت دار مملكة الروم مشهورة بكثرة ذخائرها وهي حصينة كثيرة البشر .

(40) جذوة المقتبس : ص300 .

(41) زاد المسافر : ص118 .

(42) أبو عبد الله بن ياسين الشاطبي ، محمد بن عبد الرحمن بن ياسين فقيه وأديب (ت 590 هـ) ترجمته في زاد المسافر ص95 . المن بالإمامة : 271 .

(43) المن بالإمامة : ص271 .

(44) ينظر رسائل في فضائل الأندلس لأبن حزم وابن سعيد والشقندي . ذكرها المقري في نفح الطيب 3 / 156 . 222 . وينظر مدنية العرب في الأندلس : ص67 .

(45) أبو الحسن الحصري : علي بن عبد الغني القيرواني من أهل قيروان ثم انتقل إلى الأندلس (ت 488 هـ) ترجمته في بغية الملتمس 395 . والمطرب ص27 .

(46) المطرب ص90 .

(47) ابن الجزار السرقسطي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مطروح (ت606 هـ) صاحب كتاب روضة المحاسن وعمدة المحاسن وهو ديوانه.

(48) سرقسطة إحدى أهم قواعد شرق الأندلس كبيرة في مساحتها آهلة واسعة . لها أسوار منيعة . وفيها أنهار خمسة . وتعدّ من أطيب البلدان بقعة .

(49) ديوان ابن الجزار : ص178 .

(50) الروض المعطار : ص139 .

(51) السميسر : خلف بن فرج الألبيري عرف عنه شاعر النقد السياسي والاجتماعي ترجمته في معجم السفر ص50 .

(52)المرية : مدينة في الأندلس محدثة أمر ببنائها الناصر لدين الله سنة (344هـ) وتعدّ من أشهر مراسي الأندلس . وفيها حصون كثيرة منيعة .

(53) نفح الطيب : 4 / 360 .

(54) معجم البلدان : 1 / 491 .

(55) أبو القاسم بن نوح الغافقي : أبو عبد الله محمد بن أيوب بن نوح من بلنسية توفي في القرن السادس للهجرة . ترجمته في نفح الطيب 3 / 390 .

(56) الروض المعطار : ص537 ونفح الطيب 3/ 390 .

(57) شقنبارية : مدينة في بلاد افريقية بالقرب من القيروان وهي بلدة زراعية .

(58) الروض المعطار : ص348 .

(59) نفح الطيب 306/2 .

(60) عن تخطيط القاهرة وشوارعها آنذاك ينظر : الخطط المقريزية ص118 . نفح الطيب 346/2 .

(61) الاعمى التطليلي :ص3

(62) عباس بن فرناس التاكرني الاندلسي من اصول بربرية له اسهامات علمية وادبية (ت 274 هـ) ترجمته في جذوة المقتبس ص300 والمغرب 333/1

(64) جذوة المقتبس : ص300

(65) ابن عمار

(66) ديوان ابن عمار : ص287

(67) ابن الجد : ابو الحسن يوسف بن محمد (ق 5 هـ) ترجمته في اعمال الاعلام ص242 .

(68) نفح الطيب 3/221 :

(69) اعمال الاعمال : ص242

(70) ترجمته في المقتضب تحفة القادم :ص17

(72) المقتضب :ص18

(72) اليكي : ابو بكر يحيى بن سهل اليكي (ت 560 هـ) ترجمته في زاد المسافر ص77 . المغرب:1/ 125 ويسمى ابن رومي عصره . لشهرته بالهجاء

(73) المغرب 270/2

(74) ابو حفص العروضي الزكومي . ترجمته في معجم الادباء 218/10 ومعجم السلفي 1/139 ومعجم السفر ص243

(75) معجم السفر :ص243

(76) سحنون موظف الجمارك والمكس في مدينة دانية وهو يهودي

(77) قاعون : جبل بالقرب من دانية

(78) في مقدمة الذخيرة ولم اجد اي شعر في الهجاء المقذع

(79) لم اجد اي شعر في الهجاء المقذع

(80) ص154

(81)المغرب : 2/268

(82) ابن عياش : ابو عبد الله بن عياش التجيبي (ت 618 هـ) ترجمته في زاد المسافر ص136 والاحاطه 2 /428ونفح الطيب 180/1

(83) نفح الطيب :180/1

(84) ابو الفتح البستي :

(85) بست) مدينة من اعمال سجستمان في الأندلس

(86) الروض المعطار :ص113

(87) ينظر صفة جزيرة الأندلس : ص183

(88) المصدر نفسه ص 183

(89) من الذخيرة قي محاسن اهل الجزيرة : ص183

(90) عبادة ابن عبد الله ابن محمد بن عبادة بن ماء السماء بن افلح الخزرجي المالقي اديب وشاعر مشهور ترجمته في ادباء مالقة ص286

(91) ادباء مالقة 287

(92) ترجمته في عقود الجمان نسخة د/ منجد مصطفى . ولم نتحقق من تاريخ وفاته الا انه كان معاصرا لعيسى بن سليمان الرعيني ج 5 . ورقة 228

(93) المصدر نفسه

(94)البسطي آخر شعراء الاندلس :ص69

(95) المصدر نفسه ص70

(96) المصدر نفسه ص70

(97)غُلَّيره :بلدٌ من احواز مدينة بسطة

(98) ابو الحسن علي ابن فضل سكن اشبيلية ثم ارتحل الى غرناطة قاضيا عليها .ترجمته في زاد المسافر ص64 . والمغرب 187/2

(99) المغرب في حلى المغرب : 287/2

(100) ترجمته في ادباء مالقة ص45

(101) ادباء مالقة :ص45

(102) ابوعبد الله ابن احمد بن خلف المعروف بان الحداد القيسي ينظر ديوانه ص7

(103) ديوانه : 243

(104) ينظر ديوانه ص21

(105) ترجمته في الروض المعطار :ص366 والمغرب 3/116

(106) الروض المعطار : 366

(107) ابن المرحل : ابو الحكم مالك بن المرحل ولد بمدينة مالقة وبرع في اللغة والأدب وعين قاضيا لامصار كثيرة في الاندلس . ومنها المغرب حيث هجاها

(108) مالك بن المرحل :ص7

(109) ابو الفتح بن فاخر النباهي . ترجمته في اختصار القدح المعلى 431/1

(110) رندة : مدينة قديمة بها اثار كثيرة ونهر ينسب اليها وتشتهر بكثرة العيون بالاندلس

(111) المغرب 334/1 س

(112) ابو عامر بن الأصيل محمد بن عبد الله ترجمته في الذخيرة

(113) الذخيرة : ق3 /2/861

المصادر والمراجع

- اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري .محمد مصطفى هدارة .مطبعة المعارف مصر 1963
- الاحاطة في اخبار غرناطة . لسان الدين بن الخطيب (ت 776 هـ) تحقيق محمد عبد الله عناد مطبعة الخانجي – القاهرة الطبعة الأولى 1974
- اختصار القدح المعلى في التاريخ المعلى , لابن سعيد ابي الحسن علي بن موسى (685 هـ) اختصره محمد بن عبد عبد الله بن خليل – تحقيق ابراهيم الابياري القاهرة 1959
- ادباء مالقة – ابو بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس المالقي (توفي بعد سنة 639 هـ) حققه د. صلاح جرار دار البشير للطباعة – عمان الطبعة الاولى 1999
- اعمال الاعمال في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام – لسان الدين بن الخطيب تحقيق بروفنسال – دار المكشوف – بيروت طبعة الثانية
- البسطي آخر شعراء الاندلس : محمد بن شريفة .دار الغرب الاسلامي . بيروت الطبعة الأولى 1985
- بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس للضبي (ت 599 هـ) تحقيق ابراهيم الابياري –دار الكتاب اللبناني والمصري – بيروت الطبعة الأولى 1989
- تاريخ قضاة الاندلس – المرقبة العليا – ابو الحسن النباهي تحقيق بروفنسال – المكتب التجاري بيروت
- تاريخ المن بالامامة على المستضعفين .... عبد الملك بن صاحب الصلاة – السفر الثاني – تحقيق عبد الهادي التازي بغداد 1979
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس للحميدي (ت 488 هـ) تحقيق ابراهيم الابياري دار الكتاب اللبناني والمصري بيروت الطبعة الثانية 1989
- الخطط المقريزية . احمد بن علي .دار صادر بيروت (د.ت)
- ديوان الاعمى التطليلي . تحقيق احسان عباس . دار الثقافة بيروت
- ديوان ابن الحداد الاندلسي (ت 480 هـ) جمعة وحققه د/ يوسف الطويل دار الكتاب العلمية / بيروت الطبعة الأولى 1990

- ديوان ابن عمار جمعه وحققه د.صلاح خالص .مطبعة الهدى بغداد1957
- الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة – ابو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي (ت 703 هـ) السفر الأولى . تحقيق محمد بن شريف . دار الثقافة بيروت 1964
- رثاء المدن في شعر الاندلسي – عهد الموحدين – رعد ناصر الوائلي . مركز عبادي للدراسات والنشر – صنعاء 2002
- روضة المحاسن وعمدة المحُاسن (ديوان ابن الجزار السرقسطي) تحقيق د. منجد مصطفى بهجت مطبعة المجتمع العلمي بغداد 1988
- الروض المعطار في خبر الاقطار – محمد بن عبد المنعم الحميري (كان موجوداً سنة 866 هـ) تحقيق احسان عباس – مطبعة مكتبة بيروت الطبعة الثانية 1984
- زاد المسافر وغرة مُحيا الادب المسافر – ابو صفوان بن ادريس التجيبي (ت598 هـ) تحقيق عبد القادر محداد – دار الرائد العربي بيروت 1984
- الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري (276 هـ) اشراف د.محمد يوسف نجم واحسان عباس
- العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي (ت 328 هـ) تحقيق احمد امين ,احمد الزين ,ابراهيم الابياري مطبعة لجنة التاليف القاهرة 1965
- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة لابن سعيد الاندلسي (ت 685 هـ) تحقيق ابراهيم الابياري – دار المعارف مصر (د.ت)
- المحّمدون من الشعراء واشعارهم – علي بن يوسف القفطي تحقيق حسن معمري – منشورات دار اليمامة . الرياض (د.ت)
- مدنية العرب في الاندلس – جوزيف مالك كيب – ترجمة د. تقي الدين الهلالي مطبعة العاني بغداد 1950
- معجم السفر ابو طاهر احمد بن محمد الاصفهاني السلفي(ت576) تحقيق .بهيجة الحسيني دار الرشيد بغداد 1978
- معجم المؤلفين عمر رضا كحالة دار احيار التراث .بيروت 1957
- المغرب في حلى المغرب – لجماعة آخرهم ابن سعيد – تحقيق شوقي ضيف دار المعارف بمصر 1964
- المقتضب من كتاب تحفة القادم لابن الابار (ت 658 هـ) تحقيق ابراهيم الابياري دار الكتاب المصري 1989
- نفح الطيب من غضن الاندلس الرطيب للمقري التلمساني (ت 1041 هـ) تحقيق احسان عباس دار صادر بيروت 1968
- الهجاء في الادب الاندلسي –فوزي سعد عيسى .دار المعارف مصر (د.ت)

- الهجاء والهجاؤون في صدر الاسلام – محمد محمد حسين , المطبعة النموذجية بغداد 1948
- وفيات الاعيان – لابن خلكان – (ت 681 هـ) تحقيق احسان عباس دار صادر بيروت 1972